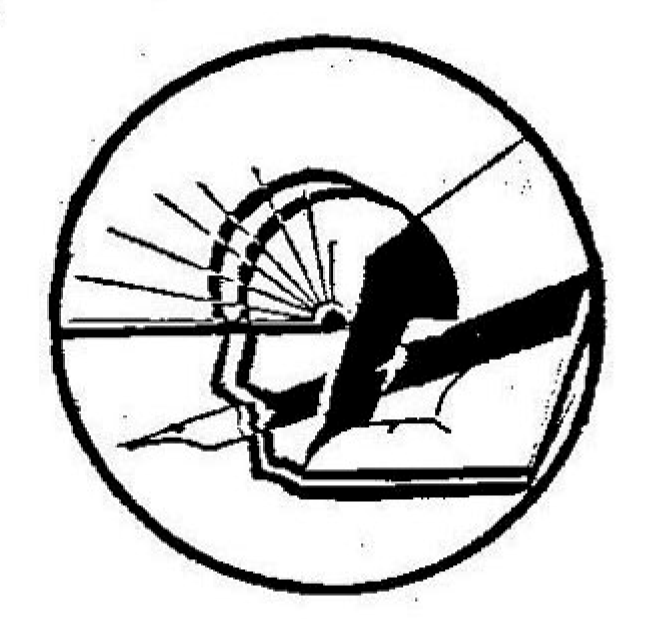


حضارة لها تاريخ

محمد فتحي محمد فوزي





الناشر :-

الجمعية المصرية لرعاية المواهب

٤٣٦ شارع الترعة البولاقية شبرا/مصر



الأخراج الفنى

للصحفى / عادل فؤاد



إهداء

" ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير "

اهدى هذا الموضوع " ادفو .. حضارة لها تاريخ" الذى تدور تسجيلاته عن الاحوال العلمية والمعمارية ، والثقافية والدينية والاجتماعية والفنية فى اقليم " ادفو " من محافظة اسوان بجنوب صعيد مصر ،منذ العصور السحيقة وحتى العصر الاسلامى ، موضحا تفاعل الادفوى مع بيئته ، واهم الشخصيات التى أثرت المنطقة فى شتى مناحى الحياة ، ففجرت ينابيع الحضارة ،وسطرت صحف التاريخ – الى الإباء تمجيدا لهم ، وحفز الابناء من تراث الماضى المجيد الذى نستمد منه الحاضر العريق ، ونستنير به للمستقبل التليد ومن اجل مصر حبنا الاكيد ، نطلع عليه كلما نضب الدفيق وطلبنا المزيد ، وندعوه تبارك وتعالى التوفيق والعون على الطريق .

ادفو – محمد فتحى محمد فوزى محمود

" الكروم – شارع التحرير"

ادفو عبر التاريخ

فى قافلة الزمان تسير " ادفو " العامرة من شمالها الى جنوبها ، يفوح منها عبق التاريخ الزاخر بالحضارات القديمة والحديثة ، والذى يكون بمثابة فنار المستقبل لابنائها . وعندما يأتى المساء تتقلد ادفو حليها الفسفورية المتلألئة على صفحات مياة النيل الخالد ، ذلك الشريان الحيوى النابض على ارض مصر الفيحاء ، يحدوها الامل فى الرخاء اعتمادا على سواعد شبابها المؤمن بالعطاء من اجل بلده وامته .

ان ادفو كانت اقليما يعتبر قائما بذاته منذ اقدم العصور ، فقد كانت فى عصر ما قبل التاريخ ، عاصمة لمملكة الوجه القبلى محتوية على " نخب " العاصمة السياسية و " نخن " العاصمة الدينية وكانتا متقابلتين على ضفتى النيل عند " الكاب الحالية " شمال ادفو ، احتلت مدينة " نخب " القديمة منذ القدم مكانة عالية بين مدن مصر الرئيسية ، حيث كانت عاصمة مصر العليا ما قبل التاريخ ، ثم اصبحت عاصمة الاقليم الثالث لها طوال فترة تزيد عن الثلاثة الاف عام ، و " نخبت " هى احدى الالهات الحاميات ، وهى الالهة الرئيسية للمدينة ، حيث عرفت باسم " نخبت البيضاء "



* النيل العظيم بأدفو .

التى مثلت اما على هيئة طائر العقاب ، او على شكل امرأة ترتدى تاج الوجه القبلى ، وكانوا يعتقدون انها تساعد فى الولادة الملكية ، وعلى هذا فقد اطلق الاغريق على مدينة " الكاب " اسم " اليتاسبوليس " وهى بقرية " المحاميد " بشرق ادفو ، ويعنى الاسم السابق مدينة الالهة " اليتا " وهى المقابلة لـ " نخبت " عندهم ، وتحتوى مدينة الكاب على آثار من مختلف العصور اهمها :

- مقابر الاشراف بالكاب وترجع الى عصر الدولة الحديثة ١٥٥٠ - ١٠٧٠ ق ٠ م ، وتقع هذه المقابر الى الشمال الشرقى من المدينة الاثرية على بعد ثلاثمائة مترا من الطريق العام ، ولقد نحتت جميعها فى الصخر الرملى واهم ما بها : " مقبرة بارحرى - مقبرة احمس ابن ابانا - مقبرة سيتاو - مقبرة رنى ."
- معبد امنحوتب الثالث ، ويقع الى الشرق من مقابر الاشراف وعلى بعد كليو متر تقريبا ، ولقد اقام هذا المعبد " امنحوتب الثالث " للالهة " نخبت " سيدة مدخل الصحراء ، واستخدمه المسافرون كمكان للصلاة ، اثناء الذهاب فى طريقهم لمناجم الذهب وهذا المعبد صغير الحجم مبنى من الحجر الرملى ، وتتقدمه صالة مهدمة وعلى واجهة المدخل يشاهد امنحوتب الثالث وهو يقسوم بطقوس عيد الحب .



★ من مقابر الاشراف بالكاب .



● هيكل تحوت المعروف بالحمام : بناه الكاهن الاعظم المدعو " سيتاو " للالهة " نخبت " فى مصر الدولة الحديثة ايام حكم الرعامسة وذلك تمجيدا للالهة " تحوت " اله الحكمة عند قدماء المصريين ولرمسيس الثانى نفسه كاله .

● المعبد البطلمى : يقع الى الشرق من المقابر الصخرية بحوالى نصف كيلو متر ،ويعتبر ايضا من المعابد الصخرية ، وقد خصص لعبادة الالهة " نخبت " وقد تم انشاؤه فى عهد بطليموس الحادى عشر المعروف بالاسكندر الاول .

واما " نخن " القديمة العاصمة الدينية التى خرج منها موحد مصر الملك " نارمر " او " مينا " فهى موجودة بالكوم الاحمر بقرية البصيلة بادفو .

وهكذا تدور الايام دورتها مع " ادفو " ذلك الاقليم القابع على الضفة الغربية للنيل متوسطا المسافة بين اسوان والاقصر والكائن فى العصور القديمة بمثابة النقطة الاخيرة للحراسة المصرية على الحدود النوبية وعاصمة الاقليم الثانى من اقاليم الصعيد ، الذى اسماه المصريون " وتس حور " اى عرش " حورس " نسبة الى معبود المنطقة الاله " حورس " .

وبعد عصر ما قبل التاريخ وعصر الاسرات ، اصبحت العاصمة " بحدت - ادفو " التى كانت قديما عاصمة المقاطعة الثانية فى مصر العليا ، ولكن لم يبق بها الآن من آثار العهود السابقة لعهد البطالمة شئ يذكر ولو ان بعض النصوص تدلنا على ان " امحتب " المهندس الذى صمم هرم " زوسر " المدرج بسقارة اقام معبدا فى هذه المدينة . والمعبد القائم بها الآن يرجع الى عهد البطالمة ، وقد بدأ بوضع اساسه فى ٢٣ اغسطس ٢٣٧ ق . م على عهد بطليموس الثالث ، واتم بناءه بطليموس السابع ، وافتتح يوم ١٠ ديسمبر عام ٤٢ ق.م بحفل عظيم . ولكن الفتن والثورات الدامية التى تخللت حكم البطالمة فى مصر العليا خاصة كانت تعوق العمل فيه بين حين واخر حتى تم بناؤه فى العاشر من ديسمبر بعد حوالى " ١٨٠ " سنة من وضع اساسه وكان هذا المعبد خاصا بالاله " حور بحدتى " اى حور الادفوى سيد ادفو ، وذكرت على جدرانه قصة " حورس " وما قام به فى سبيل الانتقام من " ست " الشيطان وانتصاره عليه فى موقعة حاسمة ، لكانت مصر من نصيبه ، وقد خاض غمار عدة مواقع على الماء فى دندره والفيوم وبلاد النوبة وتغنى بانتصاره كهنة معبد ادفو ونساء بوصيرى فى الدلتا ، وكانت تعبد معه حتحور سيدة دندره .





الجوانب الفنية والمعمارية للمعبد

•• الصرح :

يقع عند مدخل المعبد صرح مرتفع يرى على واجهة برجية منظر لبطليموس الثالث عشر فى وضع تقليـــدى يمثله مقبلا على الاعداء لذبحهم ثم يظهر الفرعـــون فى اعلى هذا المنظر لتقديم القرابين الى حـــورس سيد ادفــو وحتحور وابنهما " حور سمتاوى " موحـــد الارضيـــن .

•• الفناء :

يؤدى باب الصرح الى فناء مكشوف تحيط به الاعمدة من ثلاثة جوانب ، وكان يقوم فى وسطه المذبح الخـــاص بتقديم القرابين وفى جانب نجد تمثال حورس بهيئـــة الصقر ذى التاجين ويلاحظ ان المناظر المنقوشة علـــى الاعمده لم يذكر بها اسم الفرعون الذى يتولى تقديـــم القرابين بل ترك ذلك للصدفة حينما تهدأ الاحوال فـــى البلاد ويستقر احد الملوك على العرش فيكتب اسمه هناك وقد زينت الجدران الواقعة خلف الاعمده بمناظر حربيـــة ودينية من عهد بطليموس العاشر .





* منظر عام لمعبد ادفو " الفناء "



•• الدهليز :

يقوم فى الدهليز الواقع خلف الفناء اثنا عشر عمودا لها تيجان مزدحمة بالاشكال النباتية وقد مثلت على سقفه مناظر فلكية ونرى على الجدران بطليموس التاسع يقوم بالطقوس الدينية وتقديم القرابين والهدايا الى آلهة ادفو . وعلى جانبى المدخل غرفتان ذكر على جدرانهما ما كانت تستعمل من اجله ، فخصصت الغرفة اليمنى لحفظ الكتب المقدسة اما الغرفة اليسرى فكانت خاصة لحفظ الانية المعدة لطقوس التطهير وظهر على جدرانها " حورس " و " تحوت " يصبان ماء الطهور على الفرعون . وبالجدار الايمن لفناء الدهليز بباب يؤدى الى ممر يحيط بجميع اجزاء المعبد ، وعلى الباب المؤدى الى بهو الاعمدة يرى بطليموس الرابع حاملا صورة " ماعت " آلهة الحق لتقديمها الى مركب الشمس التي يقودها الاله حورس .

•• بهو الأعمدة :

تشبه المناظر المنقوشة على جدران المعبد نفس المناظر الموجودة بالدهليز وتوجد غرفة جانبية على اليمين تؤدى الى درج صاعد الى سقف المعبد ، ومناظر الموكب اثناء صعوده ويظهر الفرعون فى المقدمة يليه

الكهنة ويمثل الموكب عند نزوله على جدران الدرج من ناحيته اليسرى .

•• قدس الأقداس

تسبق المحراب حجرتان متتابعتان ويوجد على جانبي الحجرة الاولى منهما ممران يؤديان الى الدرج الصاعد ويقع على يمين الحجرة الثانية بهو مغير للقرابين والى يسارها غرفة جانبية خصصت للاله " مين " المعروف باله التناسل ، وعلى الحائط الايمن للمحراب نرى مناظر بديعة تمثل بطليموس الرابع يفتح محراب " حورس " ويقف خاشعا امام الاله ويقدم البخور لوالديه بطليموس الثالث وبدينس وامامه المركب المقدسة الخاصة بحتحور ، ويقع عند الجدار الخلفي ناووس من عهد " نقطانب " احد ملوك الاسرة الثلاثين ويحيط بقدس الاقداس ممر تقع عليه عشرة غرف جانبية كانت خاصة بالمخازن واقامة الطقوس الدينية .

•• الممر الداخلي للمعبد :

نعود الى بهو الاعمدة ثم نخرج الى الممر الداخلي المحيط بأبنية المعبد فنجد على الجانب الايمن الملك امام آلهة ادفو وعلى الحائط الخلفي أنشودة الاله . وتظهر المناظر الخاصة بصراع حورس مع اعدائه على الجانب



الايسر من المعمر ، ولقد اخذ الاعداء اشكال التماسيح وجاموس البحر ، وفى الجانب الشرقى من الممر المدرج يؤدى الى مقياس النيل .

•• بيت الولادة :

" الماميزى " وبيت الولادة تسجل على جدرانه صنع الجنين فى بطن امه على يد الاله " خنوم " الذى يقوم بصنع الاطفال على عجلة الفخار ، وايضا تسجيل مساعدة الالهة للامهات فى وضع اطفالهن واجنائهن بسلام . وفكرة بيت الولادة لا توجد سوى فى المعابد البطلمية ولم تكن جديدة على الفراعنة ، حيث سجل ملوكهم قصص ولادتهم الالهية على جدران معابدهم ، مثال ما قامت به الملكة " حتشبسوت " فى معبدها فى الدير البحرى حيث سجلت قصة ولادتها الالهية عليه .

الا ان البطالمة خصوا لهذه القصص مبان مستقلة ليؤكدوا نسبهم الى الالهة المصرية وشرعيتهم فى حكم مصر وهى ما نطلق عليها بيوت الولاده او الماميزى .

ويسجل داخل بيت الولادة بمعبد ادفو الالهة حتحور وهى ترفع ابنها " حورس " فى اوضاع مختلفة ، وكما توجد ايضا مناظر للحتحورات السبع - وحتحور هى الهة المرح والحب والجمال والسرور وزوجة الاله حورس - وعملية



★ الماميزى " بيت الولادة بالمعبد "



الولادة الالهية اصبحت فيما بعد نموذجا يحتذى بـه خصوصا لبعض الملوك الفراعنة الغير شرعيين فى الجلوس على عرش مصر ليكتسبوا الشرعية كما ذكرنا من قبل .

وفى النهاية يحيط بالمعبد سور ضخم من اللبن ، كان يضم ايضا مساكن الكهنة والموظفين ، ومكاتب ادارة المعبد ومخازن مختلفة ، ومصانع ، ومخبز ، وحدائق ، وبحيرة مقدسة تغذيها مياه الرشح من النيل ، كانت تؤدى عليها احتفالات فى ايام معينة ، ثم مدرسة ومكتبة فى بعض الاحيان على الاقل وبذلك كان المعبد اشبه بمدينة صغيرة ، ومع انه كان قبل كل شئ بيت الاله ، فقد كان فى نفس الوقت مركز نشاط اقتصادى وعقلى ، كما كان المركز الذى نشأت فيه التمثيليات الدينية والذى ظل يشرف على ادائها .

هكذا نجد معبد ادفو ،وعودا على بدء ، ومنذ وقت مبكر حصن المصريون مدنهم الهامة ذودا عن حياضهم ، وعما أفاءت عليهم الحضارة من خيرات ، من اعتداءات البدو الطامعين فى خير ما كسبوا واقدم ما يعرف من مدن محصنة فى مصر مدينة " نخن " الوارد ذكرها آنفا ويطلق عليها (هيراكونبوليس) مدينة الملك نارمر موحد القطرين وهى الان الكوم الاحمر شمالى ادفو بقرية البصيلية ، وقد عنى ملوك مصر منذ مطلع عهد الاسرات على الاقل بتحصين المدن



★ الآله حورس سيد ادفو



والحدود الشرقية والغربية والجنوبية ، ولا يخلو من مغزى ان منهم من نعت نفسه بأنه " سور مصر العظيم " ويظن ان حصن"هيراكونبوليس " (الكوم الاحمر) من عهد الاسرة الثانية ، وانه شيد على حافة الصحراء ، وهو يتألف من سورين احدهما من داخل الاخر ، والسور الخارجي اقل ارتفاعا من السور الداخلى ، واقل من نصفه سمكه ، ويتميز السور الداخلى بانه تتخلل سطحه الخارجي دعامات ويكشف مدخله برجان متقاربان بما يمكن من حسن الدفاع عنه .

وفى الكوم الاحمر " نخن " كشف عن اطلال بعد البيوت من اوائل الدولة القديمة وكان كل منها يتألف من قاعتين متعاقبتين او فناء تليه قاعة ويبدو انه يشبه فى تخطيطه علامة هيروغليفية تمثل فيما يظن فناء وقاعة .

يتضح لنا مما سردناه سابقا ان للعمارة المصرية وظيفة مزدوجة فثمة جانب عملى ، وجانب دينى ، فلقد كان ينظر الى المعابد على انها اماكن للعبادة ، وكان هذا يشارك فى تخليد الالهة ، وهذا هو الفارق الجوهرى بين العمارة الحديثة وعمارة القدماء المصريين .

لم ينظر الادفويون الى المعابد على انها قصور الالهة التى تنصب فيها تماثيل لهم على صورهم ، حيث تقدم اليهم



القرابين ، ولم ينظروا اليها على انها قلاع بهذه الالهة يجب أن تشيد من احجار جامده تقاوم الزمن وتخلد خلود الالهة ، وان تنفسخ لاقامة الشعائر الدينية التى يوءديها الموءمنون لمعبودهم .. لم ينظروا اليها لهذا او ذاك وحده بل نظروا كذلك اليها نظرة رمزية لانهم جعلوا هذا المبنى الشامخ تجسيد للكون بأسره ، فجعلوا سقفه تجسيد للافق السماوى الذى بزغ منه اله الشمس ليغمر بضوئه العالم ، وجعلوا ارضه تجسيدا للارض التى برزت من محيط العدم اللانهائى الذى ارتكز فوقه الاله الخالق لكى يتابع تشكيل هذا الكون وهكذا كان المعبد فى نظر المصريين القدماء بيتا للاله ، ومكانا مقدسا لاداء الطقوس الدينية ونموذجا مصغرا للكون سمائه وارضه ، ومسرحا يلتقى على منصته الاله بالملك الذى يمثل شعب مصر .

ولقد شاركت حضارات اخرى الحضارة المصرية فى هذه النظرة الى المعبد ، ولكنها فى مصر كانت ذات اعماق ابعد ، كان لها اثارها فى العمارة المصرية . وكان المعبد المصرى يتكون من جزء رئيسى ، ومقاصير ثانوية للالهة والالهات الاخرى ، ومن مذبح او مذابح تقام احيانا فى طريق المواكب الدينية وقد الحق بالمعابد فيما بعد مبان لاقامة الكهنة ، ومبان اخرى للاشغال رتبت حسب اهميتها الطقسية والدينية والجمالية ، غير اننا نجهل الكثير لعدم بقاء شىء منها فى حالة طيبة .



لقد نشأت التقاليد المعمارية فى مصر مرتبطة بالتقاليد الدينية حتى كانت لها هى الاخرى قداسة دينية تعرف عدم المساس بها ومن هنا كانت الحرية المتروكة للفنان المعمارى محدودة فلم يكن يستطيع تطوير التصميمات المعمارية الا فى نطاق التقاليد الصارمة ، بل ان دوره لم يكن يخرج عن الاستجابة لمتطلبات الطقوس التى لا تختلف من حيث المبدأ من معبد الى آخر الا قليلا وهذا لم يكن فى حقيقة الامر اكثر من مهندس فنى تنفيذى ومع ذلك فقد كانت مكانته الاجتماعية ملحوظة كما كان دوره التنفيذى هاما وخطيرا ومتشعبا اذا كان عمله يشمل المعبد على ضوء الوظيفة التى يؤديها المعبد ووفق النظام الكهنوتى والطقوس المتبعة ومساحات الاراضى الزراعية الموقوفة على المعبد وعدد العمال والمواشى والامتعة الثمينة المخصصة له . كان ذلك يتم كله بعد اختيار الكهنة للاله الجديد بالمنطقة والاساطير والطقوس والقربان التى تشكل ملامح الحياة الدينية داخل المعبد وهى الامور التى تحدد للمهندس المعانى التى يطلب اليه الكهنة ان يشيد المعبد لكي يوحى بها .

فقد ثبت من كثير من اوراق البردى المكتشفة التى رسمت عليها مساقط بعض المبانى ورسوم اخرى مبسطة وغير دقيقة تحمل المقاييس والاطوال المطلوبة والرسوم التفصيلية على ورق مقسم الى مربعات والتى يراد زخرفتها ايضا الى مربعات تسهيلا للعمل

★ منظر عام لمعبد ادفو " الاله حورس "

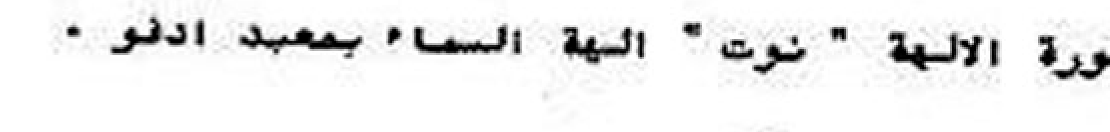




كما وجدت بعض الرسوم والعجالات التخطيطية على قطع من الحجر ومن الخشب ايضا . وكان بناء المعابد يبدأ بارساء الاساسات التى تسبقها عملية حفر تختلف عمقا باختلاف نوع الارض ومقدار ثقل هذه الاساسات ، فاذا كانت الارض طينية وصل عمق الحفرة الى ثلاثة امتار كما حدث فى بعض المعابد ، ثم تقام فى جوانب الحفرة حواجز مبنية من اللبن ، يفرش قاعها بطبقة من الرمل تبنى عليها احجار الاساس ثم يردم الفراغ حولها كذلك بالرمل اما اذا كانت الارض رملية او جيرية فانه يكتفى بحفر حوالى نصف متر تحت مستوى سطح الارض ثم ترص اولى طبقات الحجارة مباشرة على قاع الحفر .

وكان الادفويون يشكلون الاساسات احيانا من احجار مختلفة الحجم او من بقايا مبان اخرى ومنذ عهد الاسرة الخامسة والعشرين وخاصة فى عهد البطالمة ازدادت العناية بالنسبة للاساسات حيث اقيمت المعابد الكبرى على اساسات من عدة طبقات من الحجارة المصقولة صقلا جيدا ، وقد اتبعت فى سقوف المعابد طريقة مد الالواح الحجرية الطويلة على جوانبها فى الدول القديمة وتقويس كل لوح حجرى على حده من اسفل لتبدو الالواح كأنها دعائم خشبية .





★ صورة الالهة " نوت " الهة السماء بمعبد ادفو .

ويبدو ان ادراكهم لقواعد الميكانيكا الخاصة بقوة المواد كان ادراكا محدودا وضاعف المعماريون العتبات ، فبدلا من استخدام عتبة واحدة كانوا يضعون عتبتين الواحدة الى جانب الاخرى وكانوا احيانا يضعون عتبة فوق اخرى رغبة فى تقوية البناء .

وقد ظهرت قباء عالية تمع حوالى اربعة امتار فى الابنية الدينية والمدنية المشيدة من اللبن المجفف وذلك باقامة جدار فى نهاية الغرفة او نهاية الدهليز اكثر ارتفاعا من جدارى الغرفة المتقابلين ثم يبدأ فى وضع صفوف من اللبن رأسية مرتكزه على نهاية كل من الجدارين المتقابلين على ان يميل اللبن فى اتجاهين فهو يميل اولا على الجدار المرتفع القائم فى نهاية الغرفة كما انه يوضع مائلا فى اتجاه الجدار المقابل ، وهكذا حتى يتلاقى جدارا القبو المائلان عند القمة وقد اغنت هذه الطريقة عن وضع ركائز خشبية مؤقتة او ردم المبنى مؤقتا بالاتربة لامكان اقامة القبو فوقها .

ومن البديهى ان معابد ادفو لم توضع تفصيلاتها عندما بدأ انشاؤها فقط ولكنها تعتبر امتداد لتقاليد فنية سابقة تناولتها يد التطور خلال عهدى بطليموس الاول والثانى ثم تتابعت التطورات وان كانت هينة طفيفة حتى اننا مثلا لا نرى الا اختلافا ضئيلا بين قاعة معبد اسنا الكبرى التى انشئت فى القرن الثانى

قبل الميلاد ،لقد عاشت العمارة فى ظل ولاء للتقاليد جنبها التدهور خلال فترة الجمود التى اعقبت الابتكار والتجديد اللذين قدمتهما الاسرة الثلاثون وبداية فترة النفوذ الافريقى .

وقد برزت الاعمدة المركبة بوصفها اهم عناصر العمارة فى العصور اللاحقة وتكفى وحدها فى نسبة اى مبنى الى هذه العصور ذلك ان اعمدة هذه العصور جميعا نحتت على هيئة اعمدة البردى الاسطوانية ذات التيجان المتفتحة المتنوعة التى تصور انواعا عديدة من النباتات المتعانقة وقد علا بعضها بعضا فى نقش شديد البروز محور عن الطبيعة تحويرا بسيطا جدا كما رأينا وقد نقل هذا التنوع فى نحت التيجان مركز الاهمية من ساق العمود ذى الشكل الهندسى البسيط الى قمته ذات الزخارف الطبيعية المفلطحة والتى اصبحت تشد اليها الانظار واضحت السيقان اسطوانية تضيق قليلا قرب القمة واختفت فى العصور اللاحقة الاعمدة ذات السيقان المحدبة التى شاعت فى عهد الرعامسة . والاعمدة المتعددة الاضلاع التى كثرت فى عهد الاسرة الثامنة عشرة وكذلك الاعمدة الاوزيرية المربعة .

لقد كانت الفنون التشكيلية جملة وفن العمارة خاصة بالمجال الذى انفسح لوجدان الفنان كى يجول فيه بأحاسيسه



ويعبر فيه من مشاعره ، فاذا كل ما خلفه في هذا الميدان قطعة من نفسه ، وسر من سره ، تحس في لمسات يده همسات نفسه ، وفيما تحمل المباني من تشكيلات ،ما يحمل هو من صفات تنبض بكل ما نبض به قلب الانسان من انفعالات .

حقا لقد كانت العمارة هي قطب الرحى الذى قامت عليه جميع الفنون الاخرى التى اخذت منذ ظهورها تمضى متساندة في سبيلها الى تحقيق فن معمارى خالد . هكذا شارك كل من التصوير ، والنقش ، والنحت ، والكتابة في تشكيل المعمار المصري الذي يفيض به معبد " حورس " بادفو جلالا وجمالا وتزهى به الكاب فخامة وعراقة . ففي الاثار المعمارية المصرية تتجلى مصرية الفن اجمل ما تكون . بل انها لا تكاد تأخذ كمالها هذا الرائع في غير الفن المعماري يمثل ذلك النقش البارز الذي يدلنا على تلك الملكة التصويرية التى اتصف بها الفنان المصرى ، وهذا الظل والنور اللذان يمتزجان في اتساق جميل على صفحات الحجر ثم تلك النتوءات والتجاويف والحنايا التى تعلو وتهبط بحساب دقيق فتبدو وكأنها الموج لوة وانسيابا .

ونظرة الفنان المصرى في المعمار هي نظرته في غيره من فنون اخرى ، والحاسة التى تملى هناك ، فهو حين صور الاشخاص





★ الاعمدة المركبة اهم عناصر العمارة



كان كمن يضع تخطيطا هندسيا لبناء دقيق هنا كما كان دقيقا هناك ، المهم ان الحياة كل متكامل لا انفصام لجزء من جزء فاذا هو يستلهم الكون بما يضم يحس بما فيه كله ويجمع حسه من هذا كله ، ثم يوائم بين هذه الاشعاعات التى تنفذ الى نفسه ليصوغ منها فنا مبدعا يحاكى الحياة يجمع صورها كما رآها وكما احسها ، وصدرت عنه اعماله الفنية يمهد لبعضها البعض لتبلغ اخر المطاف غايتها من رقى وكمال فكان ظهور الاوانى الفخارية تمهيدا لظهورها حجرية ، ثم كان هذا وذاك ، تمهيدا لظهور فن النحت ، ولقد عرف عن المصريين فى اعمالهم الفنية حفاظهم على تقاليد وسمات تجعلنا نظن ان الحضارة المصرية مضت بخطى وئيده غير متحلله من تقاليدها والواقع يدل على غير ذلك ، فلقد كان ثمة تطور بل لقد كانت ثمة وثبات بعيده حفزت اليها اسباب اصيلة راسخة مثل الديانة وحياة المعابد بشعائرها وطقوسها والعلوم الرياضية وكذلك الموقع الجغرافى والنظام السياسى والادارى والاجتماعى فلقد كان لهذه كلها اثر فى العمارة المصرية اسهم معها اسهاما لاحقا . ونحن اذا ما نظرنا الى فن المعمار المصرى برزت من بينه الابنية الدينية تحكى لنا كيف حرص المصريون على انشائها من مواد جامده تطاول الزمن وتستعصى على الفناء . وكيف كان لها ما لمعابدنا الحديثة من توفير الاطمئنان للمعبد ثم تهيئة جو من القدسية يبعث الخشوع فى النفوس ، ويذكى



★ لوحة التتويج بمعبد ادفو .

الرهبة فى القلوب ، وهكذا لم تكن الابنية الدينية انشاءات هندسية فحسب بل كانت تعبيرا عن مظاهر مادية واخرى روحية ولقد اتاحت هاتان الصحراوان اللتان تكتنفان وادى النيل شرقا وغربا لمصر ان تمضى فى تطورها دون خشية من اى غزو خارجى ، كما كانتا بما فرضتاه من عزلة السبب فى هذا الذى ذكرناه من قبل فى حفاظ الحضارة الفنية وغيرها على تقاليدها لا تغريها تقاليد اخرى بالاخذ بها ، وفى ظل هذا الامن الذى فرضته الصحراوان كان هذا الاستقرار الذى هيأ لمشروعات الرى الكبيرة ان تنمو ، تلك المشروعات التى مهدت لخلق دولة مركزية حكومية بيروقراطية منذ زمن مبكر .

وغير بعيد ان يكون الفلاحون هم الذين كانوا يكلفون بالمشاركة فى نقل الحجارة فى موسم الفيضان حين يرتفع النيل فيسهل نقل الاحجار ، واغلب الظن ان كل هيئة من هيئات الدولة الادارية كانت تطالب بايفاد عدد كبير من الايدى العاملة اللازمة للبناء على ان يقوم بمدهم بالطعام ، والمسكن ، والكساء والآلات ، والدوات وبملاحظتهم والاشراف عليهم بمندوبين من قبلها وتقديم عدد اخر من المهندسين والمقاولين . وقد كان العمل يجرى بتقسيم موقع البناء الى قسمين او اربعة يخصص لكل قسم مجموعة من العمال يقومون بالعمل بالتناوب ، وفق جدول محدد كما كانت توضع قوائم تدون على ورق البردى او الحجارة وتبين عدد العمال المشتغلين بكل قسم وكمية الحجارة المستعملة والاتربة المكومة .

★ اللوحة التي عثر عليها بالمسجد العمري بادفو

- تابع ص ٦٤ -

ومهما يكن من شئ فان اهم عنصر معمارى نستطيع ان نتابع من خلال تغيراته تطور العمارة المصرية هو الاعمدة وقد كان من الطبيعي ان تكون الاعمدة هى العنصر الذى يعتريه التغيير من عصر الى عصر بل ومن معبد الى اخر نظرا الى اهميتها فى طراز معمارى يتميز بالسقوف المسطحة وبالجدران التى لا تتخللها نوافذ ، والطنوف ذات الطية الطيلسانية " . " الخيزرانة " واذا تذكرنا كيف كان على المهندسين المصريين ان يقيموا اعمدة ضخمة ، وان يقاربوا بين بعضها البعض ، لتستطيع ان تحمل هذه الاعتاب الثقيلة فوقها التى حالت بينهم وبين اختيار اعمدة اكثر نحافة او توزيعها على مسافات ابعد عرفنا السر فى عجزنا عن ادراك النسب العامة لقاعة تتزاحم فيها الاعمدة المستديرة والمربعة . بل انه ليصعب على العين ان تخرج من اسار الاعمدة المحيطة بها فتعجز عن تتبع اكثر من مهد واحد تحصرة الاعمدة او من ممرين متقاطعين عند زاوية قائمة ، ذلك ان الاعمدة هى التى تكون حدود المكان داخل المبنى وهو ما يجعلها تبرز على انها اهم عنصر من عناصر العمارة .

ولم تكن الاعمدة فى بدايتها غير تلك القوائم الخشبية التى تسهم مع الجدران فى حمل سقوف المبانى الاولى المقامة من اللبن والتى لم يكن من الممكن استغنائها عن هذه القوائم الا فى غرفها الضيقة ، وقد ارتبطت الاعمدة منذ ظهورها

بعنصرين رئيسيين هما .. قمة العمود ، وقاعدته ، وكانت القاعدة كتلة مستديرة من الحجر تثبت فى الارض ويتوسطها سطحها العلوى حفرة يركز فيها القائم الخشبى ، وكانت قمة العمود كتلة مربعة من الخشب يرتكز عليها اللوح الممتد بين الاعمدة وكانت الجدران يتوزع عليها ثقل عوارض السقف ولم يحفظ لنا الزمن من هذه الاعمدة الخشبية غير قواعدها الحجرية التى بقيت ثابته فى اماكنها الاصلية واذا كانت الاعمدة اصلا من جذوع الاشجار للقيام بهذه الوظيفة العملية فى حمل السقف فما اسرع ما اسبغ المصريون عليها فى الحجر من حسهم الفنى المرهف ما جعلها عنصرا تجميليا كذلك . فقد حوروها وجملوها بالزخارف الملونة ونحتوها مربعة او متعددة الاضلاع ومستديرة او مسلوبة او مفلطحة الطرف العلوى ، ومنذ حل الحجر محل اللبن فى البناء بمنتصف الدولة القديمة اخذت الاعمدة الحجرية تحل محل الاعمدة الخشبية ، وقد بقيت من تلك الاعمدة قوائم حجرية مربعة ماثلة فى المعابد الجنائزية لملوك الاسرة الرابعة ، ثم ابتكرت الاسرة الخامسة العمود الذى سمى فى العصور اللاحقة بالعمود النباتى ، وهو الذى حاكى اشكال النباتات المختلفة ، فنحت اولا على هيئة النخيل ثم نحت على هيئة نباتى البشنين والبردى الواسع الانتشار فى جميع مناطق المستنقعات المصرية . وقد نحت العمود النباتى على هيئة



ساق منفرده او حزمة من السيقان كما نحت له تاج يمثل زهـرة متفتحة او مغلقة على هيئة برعم هذا النبات وتعلو التـاج قمة مستوية دقيقة " وسادة " ترتكز عليها عوارض السقـف فيبدو القصر او المعبد كأنه واحة امتلات بسيقان نباتـات استطالت حتى لامست السماء ، ثم اخذت الاعمده النباتية تفقـد مع الزمن شكل النباتات التي صورت على هيئتها في البدايـة وبقيت اشكالها تتطور مستقلة عنها فاختفت صورة النخيـل واقتربت الاعمدة المنحوتة على شكل زهرة البردى من تلـك المنحوته على هيئة زهرة البشنين حتى لم يعد التمييز بينهما ممكنا .

وبذلك نرى ان العمود هو العنصر المعمارى الذى حظى دون غيره بأكبر قدر من التطور وخصوصا اعمدة القصور والدور التـى تحررت من تقاليد عمارة المعابد ، ومع ذلك فقد كان الملـوك يتعجلون احيانا اقامة صلات بالة من الالهة ، فيأمرون ببنـاء معبد له وهنا تتدخل عوامل الاقتصاد والسرعة ، فتظهر بعـض آثار لا يتألق فيها العقل ولا تبرز فيها براعة التشييـد والزخرفة مثل المعابد التى تبنى فى تؤدة .



صناعة اللبن بادفو : " الطوب النى "

جلب النيل الى مصر على مدى الآف السنين طبقة سميكة من الطمى صنع منها الادفويون منذ آواخر ما قبل الاسرات اللبن وذلك بخلطه برمل او تبن او مادة اخرى ليقوى تماسكه ، وحتى لا يتقلص ويتشقق ويفسد شكله عندما يجف وكان يعجن بالماء حتى يصير لزجا ، ومن ثم كانت تملأ به قوالب مغيرة مستطيلة من خشب ، تترك فى الشمس اياما حتى يجف ما بها . ولما كان الطمى متوافرا فى كافة انحاء مصر ولا تحتاج صناعته الى مهارة كبيرة فإن البناء به رخيص ، ويناسب طقس ادفو لقلة المطر فيها فضلا عما يتوفر فى البيوت التى تبنى منه دفء فى الشتاء واعتدال حرارة فى الصيف ، وقدرة على البقاء زمنا طويلا لا يتلفه الا ما تذروه الرياح من رمال يسهل علاج أثره بملاط من طين يجدد من وقت الى آخر .

ويصنع ايضا الطوب الاحمر والاوانى الفخارية بعد حرقها فى قمائن معده خصيصا لذلك .

النحت :

برع الادفويون فى فن النحت وكانت تماثيل الخاصة عادة تحمل فى الغالب إسم مليكهم تعبيرا منهم عن ولائهم

وتقديرا لشخصيتهم الفذه ، كذلك برعوا فى فن النقش ونهضوا به نهضة فائقة حقة ، فقد وهن فن النقش طوال قرن ونصف قرن بعد نهاية الاسرة السادسة والعشرين ولكنه ارتقى ابان حكم الاسرة الثلاثين ولا سيما فى عهد حكم الملك " تحت - نب - اق " ثم جاء العصران اليونانى والرومانى وعلى الرغم من انهما تركا اثارا دقيقة الا انهما كانا بداية انحدار نهائى متصل . ولعل السر فى كثرة تماثيل الحيوانات فى هذا العهد هو احساس المصريين بابتعادهم عن آلهتهم الاقدمين الذين عجزوا عن حمايتهم من الغزاة وكوارث الاحتلال ، فهرعوا من جديد الى هذه الاقانيم الالهية مثل رحمة الدبة " صوت " وآبى منجل الاله تحوتى والعجل ابس الذى يجسد الالهين بتاح واوزيريس وبقرة سبك والقرد الخاص بالاله آمون وصقر حور وقطة الربه باسته وابن آوى الاله اوبيس " . الى غير ذلك من اقانيم حيوانية مقدسة .



التصوير :

ليس من الاسراف ان نقول : " ان الدراسة الجادة العميقة لنماذج فن التصوير المصرى الخالده قد تقودنا الى انه المنطلق الحق لفن التصوير الحديث ودعامة تطوره وتألقه وازدهاره " اندريه لوت .

ويقول " بتاح حوتب " في تعاليمه " ليس للفـــن حدود ، وليس ثمة فنان بلغ ذروة الكمال " .

تحس كيف استخرج المصري الادفوي من ظلمات المقابـر المهيبة حيث الموت برهبته ، والصمت بوحشته ، والعالـم الآخر بغموضه واسراره ـ من الرهبة أنسا ،ومن الوحشـة ألفه ، ومن العبوس اشراقة بما ترك من صور ورسوم علـى جدران تلك الحجارة الصماء اوحى بها وجدان عامر بالجمال فبدت ساحرة في اسلوبها ،زاهية في الوانها ، تجعـــل الزائر مشدوها بها ، مجذوبا اليها ، عالق البصر بكـل ركن وزاوية دهشا معجبا .

فها هي ذي جدران المقابر وكأنها لوحات متعانقـة تتخيل اننا معها في متحف قدس او اننا نعبر مجـــازا سحريا يصل بين عالم الارض وعالم السمـاء . لوحـــات تذكرنا بما في الحياة الدنيا من كدح في الحقول ...... ومغامرات في الصحراء واخلاد في الدور بين الموسيقـــى والرقص والغناء ولوحات تصور لنا الحياة الاخرى بمواكبها الجنائزية والمثول بين يدى الالهة وشهود الحساب .

وما هذا إلا لأن فنون ادفو الجميلة ولدت مع مولـــد مصر موصولة باساطيرها ومعتقداتها الدينية المليئـــة بالاســرار .



ونحن اذا ما نظرنا فيما تجلى لنا مما قدمه المصورون القدماء وجدناه يندرج تحت مجموعات ثلاث :

مجموعة اولى تصور اساطير مصر القديمة عن العالم الاخر وآلهتهم واقدارهم .

مجموعة ثانية تصور الطقوس الجنائزية التى كانت تقام للميت قبل دفنه .

ومجموعة ثالثة تصور مشاهد من الحياة .

الفنون الدقيقة :

يكاد يكون الفن الدقيق أول شيء اشتغل به المصرى ومنه الاذوى وأول ميدان من ميادين الفنون اجاد فيه وكان له فى ذلك آثار عرفنا منها كيف كان مشغه لما هو جميل ، وشغفه بما كان فيه اعمال للفكر وحرصه على كل ما فيه ابداع واتقان ، هذا الى ما اوتيه من صبر وانـاة .

وكان بدء المصرى فى هذا الفن يوم بدأ يتخذ لنفسه أدوات من الحجر يستخدمها فى حياته اليومية ، ويوم بدأ ذوقه المرهف يملى عليه أن يصوغها اشكالا فيها فن وفيها ابتكار ، فاذا اوعيته وسكاكينه ، وما اليهما وكأنها تحف تركيبا وتنسيقا واذا نقوشها التى تحملها

تضفى عليها روعة وجمالا وسحرا أخاذا . وكما صنع هـذه من الحجر خطا فصنع غيرها من العاج والعظم ، فـاذا بين يديه ثروة من ادوات الزينة ومثلها مـن ادوات . المائدة ، واذا هو بعد هذا ينقب فى الارض ويغوص فـى البحر بحثا عن المعادن والاصداف ليتخذ منها حليـا ، وليفيد منها فى مآرب اخرى واذا له من خشب الاشجـار ومعادن الارض وقواقع البحر واصدافه بدع دقيقه مـن الصنع الانيق تشهد له بالسبق فى الخلق وبانه الاستـاذ الأول لهذا الفن بحق .

الموسيقى :

" هذا الفن الساحر ، فن الموسيقى ، كان الـى مصر ابتكاره ، على ارضها نشأ ، وبين رجالها تطـور ، فصاغوا من الكلام انغاما واودعوا الانغام الهامهم ، . وضمنوها حكم كهانهم " . من الاساطير الافريقية القديمة .

نحن نعلم ان الموسيقى ليست كغيرها من الفنـون الاخرى يغيب اثرها بغياب مكاناتها وتنقطع صلة النـاس بها باختفاء مقوماتها بل هى فن يشارك فيه الشعب كلـه يردد صداه فى صباحه ومسائه ، وهو ان غابت مكوناتـه واختفت مقوماته وجدت صوره من هذا وذاك على ألسنة الناس تتردد على مر الايام .





ولقد وجدت للمصريين القدماء آثار منقوشة او مصوره تمثل الآلات الموسيقية التي كانت مستخدمة حينذاك مثـــل " النــاى " و " الليــرا " و " الهــارب " و " المصلصلات" ووجدوا فى تنوع هذه الآلات الموسيقية واختلافها ثم فـــى وفرتها وفرة لم تتحقق لحضارات أخرى قديمة مثل حضــارة آشور وبابل وجدوا فى هذا كله ما يجعلهم يؤمنون بـــأن الموسيقى المصرية القديمة فى معناها واداشها ان تستمع للشعب وهو يردد اغانيه ، وأن نستفيد من تلك الذاكــره التى وعت فن الاجداد فكانت كالسجل المكتوب .

والدارس لهذا يجد طريقه الى تعرف تلك الموسيقـــى فى صورتين ماثلتين لتلك الموسيقى المصرية احداهمـــا تتمثل فى حياة الناس العامة لا سيما فلاحى مصر ومصر العليا ادفو بصفة خاصة ، فمن عاشوا حتى اليوم ابعد شيئا عـــن المؤثرات الوافدة ، وبقيت لهم اغانيهم بترنيماتهـــا على صورة ما نشك فى انها لم تبعد كثيرا عما كانت عليه فى الماضى البعيد وما نظن بأنها غير استبدال الفـــاظ اما من الاداء فما نظنه الا صورة مما كان او اقرب الـــى ما كان ، فالحوافز التى املت على الادفوى المصرى منـــذ ملك ان يعبر عن خلجات نفسه ويفصح عن مشاعره غنـــاء ، وانشادا ، مازالت هى الحوافز التى تملى على مصرى اليوم مع تفاوت قليل استلزمته عوامل جديه ودخلت على البيئـــة

ولكن هذه العوامل الداخلة كما لم تغير من كنة البيئة وطبيعتها ، فهي كذلك لم تغير من كنة الغناء وتكوينه الأول ، فالعادات هي العادات ،والتقاليد هي التقاليد لم يختلف هذا كله ان صح ان هناك اختلافا إلا في الصحة والطلاء . ونجد في ادفو الاغاني الموسمية وبعض الاغاني الشعبية ، ترتبط بالعادات الاجتماعية ، وقد تشتمل هذه الأغاني على أصول فرعونية مثل اغاني " يا نخلتين في العلالي يا بلحهم دوا " وهدهدة الأم لطفلها " نام .. نام .. وادبح لك جوزين حمام .. وافرقهم لك على الجيران " .

فكثير من عادات الشعب المصري خصوصا بين اهل القرى كانت شائعة جدا لدى المصريين القدماء . لقد نشأ هذا الفن الكبير فن الموسيقى على أرض مصر عموما وادفو خاصة ، ومن أرض ادفو شاع ليعم العالم اجمع وليعايش الانسان في كل مكان ومع كل زمان لا انفصام بينهما ، وكأنه واياه صنوان لا يفترقان . وحين الهم المصريون القدماء ان يتجهوا الى اله ، وان تكون لهم فكرة عن حياة اخرى بعد حياتهم الاولى ، وان يرعوا اامواتهم ليكفلوا لهم النعيم في مرقدهم الأخير .. اجل حين الهم المصريون هذا كله الهموا تلك اللغة العذبة

المنغمة يناجون بها آلهتهم ويتحدثون بها الى موتاهم ويجعلون منها عودتهم حين يلم بهم خطب فى ابدانهم او فى حيوانهم او فى ارزاقهم وما يزرعون ، ثم مالبث هذا الفن ان ملأ حياة الادفويين ، فغاص فى مرحهم وصاحبهم فى رقصهم ولازمهم فى غنائهم ، واستحالت به اعيادهم الى مهرجانات صاخبة بالبهجة ، وعليه فغدت الموسيقى متعة وسلوى للناس على مختلف طبقاتهم يستمتع بها الخاصة على صورة ، ويستمتع بها الشعب على صورة اخرى ، وكانوا اذا ما ودعوا ميتا الى مقره الأخير لم ينسوا ان يصنعوا فى تابوته شيئا من الآلات الموسيقية حتى لا يحرم من آخراه ما استمتع به فى دنياه .

ولقد كانت الموسيقى للادفويين تشبع ناحيتين :- " دينية – واستمتاعية " ، لذا عاش الادفويون يفرقون بين ما كان للدين وبين ما كان للاستمتاع وعلى حين كانت للموسيقى الدينية قيود وتقاليد تتفق والشعائر الدينية وقدسيتها وصارت للموسيقى الاستمتاعية طلاقة تتشكل بالمؤثرات الخارجية ولا سيما بعد ان كانت لادفو مكانة مرموقة بين بلاد الصعيد وتوثقت صلاتها الثقافية بالحواضر المجاورة . وكانت الموسيقى أكثر الفنون تأثرا بهذا الاتصال وخاصة فى العصر اليونانى والرومانى .. ومن



★ توزيع الطيب فى ساحة المريدين بالطرق الصوفية

- تابع صنه -



الآلات الموسيقية المستعملة " الطبل - الزمارات - البوق الفرعونى - الترومبيت - شنب بالمصرية - الاوبوا بالمصرية ماة - الناى - الارغول الكلارينيت - المزمار المزدوج الريشة - الآلات الوترية الهارب - العود - الدف - المعلطلة " .

وهكذا انساب اسم " بحدت " - ادفو - عبر التاريخ يشنف آذان السامعين مترنما بالحضارة ، والتاريخ ، وتوالت السنون ، وتعاقبت الايام الى ان غيّر البطالمة ذلك الأسم الى " ابوللونوبوليس " ، اى مدينة الاله " ابوللون " الاغريقى - وذلك الاله عرفه الرومان بأسم فينوس رب النور اما عند اليونان فكان ايضا رب الشباب والشعر والموسيقى فهو الذى أوجد القيثارة كما عرف ابوللون بانه رب النبوءات والطهارة ورد الاذى والاوبئة عن الناس - وفى هذه الفترة من التاريخ كانت هناك سياسة دينية للبطالمة للتوفيق والربط ما بين مشاعر المصريين وقلوب الاغريق فى مصر فكانوا يبنون المعابد وما يقص على جدرانها يكتب بالهيروغليفية الفرعونية القديمة وذلك لتطبيع العلاقات بين الشعب المصرى والاغريقى وكسب ود الشعب فى مصر .

وبذلك سارت قافلة الزمان تمضى عبر الاجيال حتى ضعف البطالمة وكانت روما تنتهز الفرص وتنتحل المعاذير من أجل التدخل فى شئون مصر الداخلية وعندما احتدم النزاع بين كليوباترا والرومان ، ادى ذلك الى زوال حكم البطالمة ولقد اعتبر السناتو أول اغسطس عام ٣٠ ق ٠ م وهو استيلاء الرومان على الاسكندرية ٠٠ مبدا فى روما وبدء التقويم فى مصر ٠

والرومان بطبعهم عسكريون ومن المحتمل انهم قاموا بحرق معبد بطليموس بادفو ذو البناء البطلمى والنقوش الفرعونية وما زالت اثار الحرائق التى اشعلت على جدران المعبد واسقفه المختلفة موجوده حتى الان ٠

وبعد نحو ثلاثين عاما من سيطرة الرومان على مصر ولد " عيسى بن مريم " ٠ عليه السلام فى بيت لحم بفلسطين وانتشرت اخباره ومعجزاته وذاع صيته فى الاقليم ، ودخلت المسيحية مصر وتغير اسم " ابوللونوبوليس " الى " ادبو " وهو اسم قبطى يعنى مدينة الشمس الساطعة ٠ ونستخلص من ذلك تعدد اسماء ادفو من " بحدت مرورا بأبوللونوبوليس فادبو ثم ادفو "

وهكذا فى الوقت الذى اخذ فيه الرومان ينزلون اشد انواع الاضطهاد بمن لا يؤمن بالمذهب الرسمى للدولة وهو الوثنية ،



كانت قوة عربية جديدة تتشكل فى قلب الجزيرة العربية ذلك ان رسول الله محمد بن عبد الله الهاشمى عليه الصلاة والسلام ، كان قد بلغ سن الاربعين عام "٦١١م" ونزل عليه الوحى فى مكة مبشرا بدين جديد هو الدين الاسلامى .... وكان الفتح الاسلامى لمصر بقيادة القائد العربى " عمرو بن العاص " عام "٦٤٢م" ومنذ ذلك الوقت بدأت مصر صفحة جديدة من تاريخها فكما انها كافحت فى سبيل انقاذ المسيحية وفدتها بالدماء من بطش الرومان ، فانها حملت راية الاسلام وساهمت بأكبر قسط فى بناء الحضارة العربية ، حتى صارت الآن قلبا للعالم الاسلامى ومركز اشعاع للحضارة العربية .

يتضح من العرض آنفا ان الغزاه من الاغريق والرومان لم يفلحوا ابدا فى التقرب من الادفويين فى صعيد مصر اوفى فرض حضارتهم على الحياة الادفوية ، فإن الروح القومية الجبارة الكامنة فى نفوس الادفويين تلك القوة الروحية التى صمدت دائما لضغط الغزاة فاخضعتهم او طردتهم ، وجعلت الادفويين خصوصا والمصريين عموما المغلوبين فى اخر الامر غالبين منتصرين .

ونعود مرة أخرى الى " ادبو " الأسم القبطى الذى تغير فى عصر الفتح الاسلامى الى " ادفو" بنفس المعنى السابق مشتقا من الدفء والدفء والشمس الساطعة صنوان كلاهما يرمز الى الآخر .



عاش فى ادفو الكثير من العلماء الذين اثروا الحياة العلمية فى مصر ، نبتوا من ارضها وجرت دماءهم من نيلها منهم المتصوفة الفقهاء ، والفلاسفة والشعراء وفى شتى العلوم والمجالات بالعصور الوسطى الاسلامية او العصر الحديث

فالبيئة الادفوية تزخر بعبق التاريخ وروائح الحضارة القديمة ممتزجة بالاسلام فيكون الفقة والعلوم النقلية تعقبها العلوم العقلية .

إدفو والعصور الوسطى

فى بيئة خصبة ثقافيا وروحيا ودينيا ، ألا وهى البيئة الادفوية ، عاش المؤرخ والامام الصوفى " ابو جعفر الادفوى ". ولكى نتحدث عن ذلك العالم النجيب وغيره من العلماء الذين اثروا الحياة الثقافية بادفو ومصر ، لابد لنا من وقفة تمحيص وفحص لهذه البيئة الصوفية التى تأثر بها علماؤنا ، فالتصوف الاسلامى ظهرت بذوره فى مصر مع مطلع القرن الثالث الهجرى على يد " ابى الفيض بن ابراهيم بن ثوبان " المعروف بذى النون المصرى المتوفى عام ٢٤٥ هـ – ٨٥٩ م ، ويقولون انه من اصل نوبى ، وهو أول من تحدث فى الاحوال والمقامات ، وفساق

قلبه بالحب في الذات الالهية ، وخلف اثرا واضحا في علوم الحقيقة بما تركه من اقوال . والتصوف هو علم ومعرفة وعمل وعبادة ، وكل علم يعرف به الانسان ربه ، فهو من سبيل التصوف وما من علم لو تدبر الانسان ظاهرة وباطنه الا ويشير الى المعرفة الكبرى والحقيقة الأولى وهى وجود الله ووحدانيته ، وكل عمل يبذل الانسان فيه كل جهده وعرقه ليحقق به خلافته لله فى ارضه ، فهو من طريق التصوف ، وكل عبادة خالصة يقبل فيها الانسان بقلبه ووجدانه ، ويخلى ما بداخله عما سوى الله فهى من التصوف .

هذا الاتجاه الذى كان عليه التصوف الاسلامى فى ادفو ، ترك اثرا واضحا وعميقا فى السلوك الحسى ، وفى التربية الاخلاقية ، فظهر فى البيئة الادفوية الشيخ ، والمربى ، والمرشد الذى تعهد السالك والمريد بألوان من الرياضيات والمجاهدات فى السلوك الحسى والتربية الاخلاقية ، ولكل من هؤلاء كان منهجه وطريقه الخاص فى هذا الجانب من الحياة الروحية .

من هذا المنطلق نجد ان الصوفية دعت الى العلم ما استطاعت ، العلم الذى يصل به الانسان الى الحقيقة " ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب "



٣/١٩٠ " انما يخشى الله من عباده العلماء " وهكذا فان العلم هو سبيل المعرفة ، ولذلك فان أهم ما يجب على الانسان ، كل انسان ، واى انسان يريد ان يعرف الحق ويلتزم به ، ان يتعلم .. ما وسعه العلم ، وان يرى دائما فى العلم السبيل الى المعرفة .. معرفة الله " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب "٣٩/٩.. اتجه علماء ادفو فى ذلك الوقت ينهلون من معارف العلم النقلى المؤدى الى طريق الله ، فالقوا الدنيا وراء ظهورهم ، وبحثوا فى القرآن الكريم وسافروا لطلب المعرفة فانتقلوا الى " قوص " وكانت فى ذلك الوقت حاضرة من حواضر الصعيد ، وهنا نتوقف عند اقليم الاعمال القوصية الذى كانت " قوص " عاصمة له منذ عهد الدولة الفاطمية حتى آواخر حكم المماليك ، وهو متسع الارجاء ، يضم عددا كبيرا من البلدان منها اقليمنا ادفو .

وقد بلغت " قوص " فى هذه الفترة شأوا بعيدا فى شتى نواحى الحياة ، فكانت تقف على قدم المساواة مع القاهرة ، ودمشق ، وحلب ،والاسكندرية ، وكان يحكمها امير من قبل السلطان فى مصر ، ومن اشهر هؤلاء الامراء الذين حكموا هذا الاقليم الامير " مجد الدين بن اللمطى " الذى ولى شئون حكمه فى الفترة من ٦٠٧ هـ - ١١٨٥ - ١٢٥٨ م ، وقد كان كريما محبا للخير ، مقربا اليه رجال الدين والتقوى والصلاح والعلم



وكان ذواقه للأدب ، مشجعا للشعراء والادباء ، الذين عاشوا فى هذا الاقليم ، فقد عمل فى بلاطه الشاعران المعروفان " البهاء زهير ٥٨١ - ٦٥٦ هـ - ١١٨٥ - ١٢٥٧ م وجمال الدين ابو الحسن بن مطروح ٥٩٢ - ٦٤٩ هـ - ١١٩٥ - ١٢٥١ م " كانت قوص سوقا اقتصاديا رائجا ، ومسلكا للحج آمنا عن طريق عيذاب ومركز اشعاع قوى للثقافة الاسلامية بما بها من جوامع ، ومدارس مختلفة ، ومن اشهر جوامع قوص الجامع العمرى الذى انشىء فى اوائل الفتح العربى لمصر ، وقد بلغت المدارس فى قوص " ١٦ " مدرسة من ابرزها المدرسة النجيبية ، التى انشأها النجيب بن هبة الله فى قوص ٦٠٧ هـ - ١٢١٠ م ، والمدرسة الغربية التى تقع على ساحل قوص ودار الحديث السابقية نسبة الى السابق والى قوص الذى امر بانشائها .

وكانت العلوم التى تدرس فى قوص فى ذلك الوقت هى علم القراءات والنحو الهندسة والفلك ، وازدانت قوص على اثر ذلك بالعديد من العلماء الاجلاء والفقهاء والمحدثين الذين هم فى الغالب ليسوا من اهل قوص ولكنهم مغربيون او من بلاد المشرق ، وفدوا على قوص واستوطنوها لما كانت تتمتع به هذه المدينة آنذاك من شهرة واسعة ، ومكانة مرموقة ، وظلوا بها حتى نهاية تعليمهم ومن هؤلاء ابو جعفر الادفوى .



وقد كان الغرض من انشاء هذه المدارس هو تدريس فقه السنة على مذهب الامام الشافعى والامام مالك ، ومناوأة الشيعة وعقائدهم الباطنية التى بدأت تغزو الصعيد فى اعقاب القرن السادس الهجرى . وقد تخرج فى هذه المدارس الآلاف من العلماء الذين ملأوا بقاع العالم الاسلامى .. علما ونورا وقد كان لهؤلاء الصوفية جميعا اثرا عظيم فى النهوض بالحياة الروحية والسمو بها فى مجتمعهم الى عاشوا فيه ، وذلك بما كانوا يملكونه من ربط وزوايا هى فى الواقع بمثابة المدارس التى خرجت فى الصعيد ، السالك ، والمريد كابعد ما يكون ذوقا وسلوكا وقد زامل علماء ادفوا وخالطوا هؤلاء الصوفية فى قوص وكانت تربطهم بهم وشائج الاخوة والمحبة ، وقد انفصلت ادفو من اقليم الاعمال القومية عام ١٨٩٥ م وانضمت الى اقليم اسوان .

واحب المؤرخ ابو جعفر الادفوى الصعيد مسقط رأسه فانشد قائلا :

احن الى ارض الصعيد واهلها ... ويزداد شوقى حين تبدو قبابها
وتذكرها فى ظلمة الليل مهجتى ... فتجرى دموعى اذ يزيد التهابها
وما صعبت يوما على ملمسة ... وشاهدتها الا وهانت صعابها
بلاد بها كان الشباب مساعدى ... على نيل آمال عزيز طلابها
وقضيت صفو العيش فى عرصاتها ... لذلك يحلو للفؤاد رحابها
مواطن اهلى ثم صحبى وجيرتى ... واول ارض مس جلدى ترابها

ان هؤلاء العلماء تشبهوا بأهل " الصفة " الذين هم من فقراء المسلمين اقعدتهم ظروفهم ايا كانت هذه الظروف عن السعى والكسب ، فأقاموا فى صفة المسجد ، وهى مؤخرة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، لا يشغلهم أى أمر عن العبادة والاستغراق فيها ، اذا رزقوا .. اكلوا ، والا عبجوا فشبعوا وفى الحالتين شكروا وحمدوا ، واذا جاءهم الماء شربوا ، واذا حبس عنهم ذكروا من انحبسوا له ، فارتووا ، لا يسألون احدا ، ولذلك يحسبهم الناس من الاغنياء فهم دائما مع من بيده الامر ، فكيف يطلبونه من غيره ،يتجلى نور الايمان على وجوههم بعدان فاضت به نفوسهم ، واثر العبادة الحقة واضحا على حالهم ظاهرا فى سيماهم ، هؤلاء الذين قال عنهم القرآن الكريم : " للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا " ٢/٢٧٣ .

ذلك مع الفارق ان اولئك الذين نتحدث عنهم انفقوا اموالهم فى سبيل العلم ، وتشبهوا بالسابقين فى النسك وحياة العبادة . وكما قال الاديب الشاعر " نصير الادفوى " :

وطائر الافنان	افنانى	اذا ناح فى السحر
وهاتف الأذان	آذانى	اذ نبه البشر .

الإمام المؤرخ .. الإدفوي

حينما يتعانق تاريخ العصور القديمة ، وتتعانق الحضارة مع تاريخ العصور الوسطى فى ادفو ، ينكشف لنا المستقبل الباهر المنتظر لهذا الاقليم ، لأن من ليس له ماض ، ليس له تاريخ أو جذور .

واقليم ادفو به جمع كبير من أهل المكارم والرياسة ، ومما قال احد ائمة ادفو انه عندما زار " ابن بشكور " وهو احد الولاة - البلاد خرج لمقابلته منها خلائق ممن له عدالة ورياسة فتعجب من ذلك قائلا : " ما ظننت ان يكون فى هذه البلدة مثل هؤلاء " !! " واهلها معروفون بالعفة والفقه ، موصوفون بالصدق والتحرز فى الاقوال ، مشهورون باكرام الوارد واغاثة الملهوف ، واسداء المعروف ، ولما كان بها " مباشر " جامع الغرائب - يقال له الصفى ، اجحف بأهلها مدة ، فخرجت له شقفة فى ظهره ، فكانت سبب وفاته ، فأنشدهم الاديب الفاضل " علاء الدين على المفوتى " هذين البيتين :

أهل ادفو عن يقين	اهل معروف وعفه
الصفى جار عليهم	راح مرجوما بشقفه

ذكر ذلك المؤرخ الصوفى " ابو جعفر الادفوى " المسمى كمال الدين وعد الله ابى الفضل جعفر بن ثعلب الادفوى الثعلبى

المؤرخ الاديب الفقيه الشافعي ، ينتسب الى عائلة الثعالب وكما قال المؤرخان " عبد الرحمن بن خلدون والنويري " : (ان الثعالب بطن من طيء من القحطانية كانت مساكنهم صعيد مصر) .

وقالت بعض المخطوطات النسبية ان الثعالب هم أبناء على الكرار : " ان نسبة بنى هاشم اتصلت من ثلاثة رجال ، من بنى موسى ثعالب ، وعبد الله الجواد الاولان ابناء على الكرار والثالث من جعفر الطيار " .

ولد الامام الشيخ فى مدينة ادفو فى شهر شعبان عام ٦٨٥هـ – ١٢٨٤م وتعلم فى قوص ثم سافر الى القاهرة ، وسكن المدرسة الصالحية . عاصر عهود السلطان المنصور قلاوون والاشرف خليل والناصر محمد بن قلاوون وهو مؤرخ مشهور من اقطاب المتصوفة فى العصور الوسطى زمن الدولة المملوكية . اشتهر كتابه " الطالع السعيد " والمتحدث فيه عن جغرافية بلاد الصعيد وطبائع اهلها وعاداتهم وتقاليدهم ، ثم عن النجباء وانسابهم فيها .

تتلمذ الشيخ على الشيخ (ابو حيان اثير الدين بن يوسف الغرناطي – احمد بن محمد بن احمد محى الدين القرطبي – منتصر بن الحسن الادفوى) وآخرين .

الف ابو جعفر الادفوى العديد من الكتب منها (فوائد ومقاصد القواعد فى علم الفرائض - والبدر السافر وتحفة المسافر) ترجمة لبعض شعراء القرن السابع الهجرى ، و(الامتاع فى احكام السماع) يبحث فى ضروب الغناء من حيث جوازه وتحريمه وتوجد اجزاء من هذه النسخ فى الغوطا ، وفينا ، والفاتيكسان ومكتبة فاتح باستنبول ، وكتاب الامتاع لخصه الشيخ " ابوحامد المقدسى " واسماه " تشنيف الاسماع " ، والطالع السعيد ذلك الكتاب ، يعد سجلا حافلا لتاريخنا الفكري ، وبعض تراجمه تمتاز بالاصالة ، فلا توجد فى غيره ، وانه كان المصدر والمرجع للحافظ بن حجر فى " الدرر " والصفدى فى " الوافى " وفى " النكت " وابن كثير فى " البداية والنهاية " والتاج السبكى فى " الطبقات الكبرى " والمقريزى فى " السلوك " وفى " الخطط " وابن تغرى بردى فى " النجوم " وابن دقماق فى " الانتصار " والسيوطى فى " حسن المحاضره " .

عاش الادفوى فى القاهرة ، ونذر نفسه للعلم ، واتخذ المدرسة الصالحية سكنا ، منه يتردد على الاشياخ ، ويتزود من مناهل العرفان ، قال البدر النابلسى : كان مشاركا فى علوم متعدده ، اديبا ، شاعرا ، ذكيا ، كريما ، طارحا للتكلف ذا مروءة " .

توفى بعد عودته من الحج عام ٧٤٨ هـ : ١٣٤٧م كما فى " الدرر " واكده الاسنوى فى " الطبقات " فقال : " مات قبل

الطاعون الكبير الواقع سنة ٧٤٩ هـ " وهو ما ذكره ابو الفلاح في " الشذرات " والشوكاني في " البدر الطالع " وارتضاه زيدان في " تاريخ آداب اللغة " والزركلي في " الاعلام " ، وكحالة في " معجم المؤلفين " وقال المقريزي في " السلوك " وابن تغري بردي في " النجوم " والسيوطي في " حسن المحاضرة وحاجي خليفة في " كشف الظنون " ٧٤٩ هـ ١٣٤٨م وارتضاه علي مبارك في " الخطط " والباباني في " هدية العارفين " .

ارخ الادفوي لاقليمنا ادفو قائلا : " بادفو نخيل كثيرة واشجار غزيرة ، ولحم غنمها اطيب لحوم الاقليم ، وبها براب في غاية العجب والارتفاع ، فيها صور مختلفة ، واشكال متنوعة وكتابة بالقلم البرباوي ، وعندما كان بعد سنة سبعمائة ، حفر صناع الطوب آبار لأجل ذلك فظهرت صورة شخص من حجر ، شكل امرأة متربعة على كرسي وعليها مثال شبكة وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم البرباوي ، رأيتها على هذه الحالة وكان التشيع بها فاشيا ، واهلها طائفتان ، الاسماعيلية ، والامامية ، ثم ضعف حتى لا يكاد ينبز به الاشخاص قليلة جدا ، وارضها واسعة الطول ، مسيرتها بسير الجمال يوم كامل وبعض اخر ، من كل جانب ، وبها جزائر كثيرة ، بها نخيل واشجار وغير ذلك " .



ولقد انشد الادفوى مترنما بادفــو :

لله ايام بأدفو قد مضـــت   بين الرياض اجيل فيها الناظـرا

انى اتجهت رأيت ماء جاريــا   اجلو الهموم به وزهرا ناضــرا

واشم من ريحانها وزهورهــا   مسكا يفوح لنا ونشرا عاطــرا

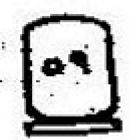
وبماشها وثمارها ولحومهــا   مَثَلٌ غدا بين البرية سائـــرا

لا اقفرت تلك الربوع ولا عفا   مغنى بها بالجود اصبح عامـرا

وتبقى لنا كلمة عن المؤرخ العالم ابو جعفر الادفــوى وهى انه شريف علوى كما قال هو : " واخبرنى من وقف على مكتوب فيه اربعين شريفا خاصة ، وان مكتوبا اخر فيه سبعين شريفــا دون غيرهم ، ووقفت انا على مكتوب فيه قريب من اربعين ، وفيه جمع كبير من بيت واحد مؤرخ بما بعد العشرين وستمائه " .

نستلهم من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلــم ، " تعلموا من انسابكم بقدر ما تعلون به ارحامكم " . وايضــا قوله " اربعة انالهم شفيعا يوم القيامة ، المكرم لذريتــى ، والقاضى لهم حوائجهم ، والساعى لهم فى امورهم عند اضرارهــم والمحبين بقلوبهم والسنتهم " .

ومما هو جدير بالذكر ان المدارس التى تعلم وسكن فيهــا المؤرخ ابو جعفر الادفوى ومنها المدرسة الصالحية هى المدارس التى انشأها " صلاح الدين الايوبى " للاهتمام بالعلماء ورعايتهم





من جانب وللقضاء على المذهب الشيعي الذى تفشى فى مصر نتاج الدولة الفاطمية التى كانت تؤمن به وتعمل على نشره . وقد عملت الدولة الايوبية بزعامة صلاح الدين على نشر المذهب السنى وهو مذهب الدولة الرسمى بواسطة العلماء خريجى تلك المدارس ، علما بأن ابو جعفر الادفوى تم دفنه بالقاهرة خارج مقابر " باب النصر " .

أبو الفقيه

ابو الفقيه هو الامام " محمد المتولى الادريسى بن على بن احمد الادفوى " ينتهى نسبه الى الامام الحسن بن على ، وابن السيده / فاطمه الزهراء بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هو العالم الزاهد ، المقرئ المفسر ، النحوى ، ذكره الدانى فى طبقات القراء وقال " اخذ القراءة عرضا عن ابى غانم المظفر بن احمد بن حمدان وعليه اعتماده وسمع الحروف من احمد بن ابراهيم بن جامع ومن سعيد بن السكن ، سمع منه كتاب " السبعة " لابن مجاهد ، وسمع من العباس بن احمد ومن غيرهم وانفرد بالامامة فى دهره فى قراءة نافع رواية ابن سعيد ورش ، مع سعة علمه وبراعته ، وصدق لهجته وتمكنه من علم العربية وبصره بالمعانى " .



وقد اخذ الشيخ النحو عن ابى جعفر النحاس وروى عنه ، ومن العباس ابن احمد المصرى ، وابى العباس احمد بن ابراهيم .. وروى عنه احمد بن سهل الانصارى الطليطلى ابو جعفر ، يعرف بابن الحداد (ابو بكر الحداد) واحمد بن محمد بن محمد بن عبيده الاموى ، وروى عنه القراءة جماعة منهم محمد ابن الحسين بن النعمان ، والحسن بن سليمان شيخ الدانى ، ذكر ذلك الدانى ايضا ، وقال : اخذت عن عثمان بن سعيد بن حسان المقرىء ، قال : سأل رجل الشيخ الادفوى ابو الفقهاء عن مسألة فى القرآن ، وفى اعرابها ومعناها ، فاجابه بوجه فسره ، ثم قال : اتحب وجها آخر ؟ فقال : نعم ، فاجابه بوجه .. فسره ، ثم قال : اتحب وجها آخر ؟ فقال : نعم ، فاجابه حتى ذكر له عشرة اوجه ، فقام الرجل ، فقبل رأسه ، وانشده شعرا من قول ابى جعفر الادفوى او ما شابهه :

الا ان ارباب المعارف سادة ... سرائرهم لله فى طيها نشر
هم القوم حازوا ما يعزوجوده ... وجازوا بحارا دونها وقف الفكر
اطاعوا اله العرش سرا وجهره ... فمكنهم حتى غدا لهم الامر
فهم فى الثرى غيث الورى معدن القرى
وهم فى سماء المجد انجمها الزهر
فطف بحماهم واح بين خيامهم ... ولا تستمع ما قال زيد ولا عمرو
اذا طفت بين الحى تحمى وتتقى ... بأسياف عزم دونا البيض والسمر
ومن يعترض يوما عليهم فانه ... يعود ومن نيل المنى كله صفر

وقد ذكره ابو يعقوب اسحاق القراب وقال : كتبت عنه بمصر

وذكره الصاحب ابو الحسن القفطى فى كتاب " النحاة" وقال :-

كتبت عنه بمصر ، وذكره الصاحب ابو الحسن القفطى فى كتاب

" النحاة " وقال : كان خشابا بصعيد مصر (ادفو) وله

تصانيف فى التفسير والقراءة ، واللغة والنحو وغير ذلك ،

ووقف المؤرخ ابو جعفر الادفوى على كتابه المسمى ب" الاستغناء"

فى التفسير بمجلدات كثيرة ، رأى منه نسخة من عشرين مجلدا

ويقال انه فى مائه او ما يقاربها ، ووقف له ايضا على مجلده

كبيرة فى النحو ، واخذ عنه الحوفى النحو وهو العالم المفسر.

، كان الشيخ من العلماء الصالحين ، ممن يعتقد بركته ويزار

قبره ، ويقال ان الدعاء عنده مستجاب ، وكما قال المؤرخ

الادفوى : " رأيت شيخنا تقى الدين محمد بن احمد المقرىء

الشهير ، وعنده الم وفكره ، ثم انه ركب دابة وتوجه ، ثم

اجتمعت به بعد فى بقية النهار ، فرأيته منشرحا ـ وقال لى

" ركبت الدابة ، وقصدت الجبانة للزيارة والدعاء ، وتركت

الدابة تمشى ولا اتعرض لها ، وقلت فى اى موضع وقفت الدابه

دعوت ، فلم تزل ماشيه الى قبر الشيخ الادفوى ثم وقفت ، فدعوت

هناك وعدت ، وحصل عندى سرور ، ثم اجتمعت به بعد ذلك بيوم

مناما ، وقال لى : قضيت الحاجة " ـ هذه كرامة من كرامات

الشيخ وقد قال صاحب كتاب " التعرف لمذهب اهل التصوف " ،

فى الباب السادس والعشرين منه ما نصه : "(اجمعوا على اثبات

كرامات الاولياء ، وان كانت تدخل فى باب المعجزات كالمشى

على الماء ، وكلام البهائم ، وطى الارض ، وظهور الشيء فى غير موقعه ووقته ، وقد جاءت بها الاخبار ، وصحت الروايات ونطق بها التنزيل من قصة الذى عنده علم من الكتاب فى قوله تعالى : " انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك " وقصة مريم حين قال لها ذكريا : " انى لك هذا قالت هو من عند الله " وقصة الرجلين اللذين كانا عند النبى صلى الله عليه وسلم ثم خرجا فاضاء لهما سوطهما وغير ذلك ، وجواز ذلك فى عصر النبى للنبى على معنى التصديق لكان فى غير غيره على معنى التصديق ، وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : ، حين نادى بن حصن الجبل .. الجبل وعمر بالمدينة على المنبر وساريه فى وجه العدو على مسيرة شهر والاخبار فى هذا كثيرة وافرة " وروى ابو داود فى سننه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان من عباد الله اناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطم الانبياء والشهداء يوم القيامة ، بمكانهم من الله ، قالوا يا رسول الله ، : فخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا اخاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية " الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " . اختلف المؤرخون فى مولد الشيخ ، فقيل فى سنة ثلاث وثلاثمائة ، وقيل خمس ، وقيل سنة اربع فى شهر صفر ، قال ابو محمد عبد الله بن على الدمياطى : وهذا اصح



وتوفى :
بادفو يوم الخميس لسبع بقين من شهر ربيع الاول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة . للشيخ ابناء ما عرف منهم (محمد النور - محمد الفاخر - محمد القاهر - ابو القاسم) وقد تفرعت منهم قبائل ادفو اما طبا او نسبا . وواحد من هؤلاء الابناء من المحتمل ان يكون " محمد النور " وينعت بالادفوى كلفه السلطان " الظاهر برقوق " سلطان الدولة المملوكية بامامة المسجد العمرى وشرح العلوم الدينية والفقهية فى صحنه ، وذلك كان فى السابع من ذي القعدة سنة ٧٩٧ هـ : ١٣٩٥م وهذا طبقا للوحة التى عثرنا عليها من الحجر الجيرى مكتوبة بالحفر وبالخط الثلث مكونة من سبعة سطور ، مبتدئه باسم الله ثم القاب السلطان الظاهر برقوق سلطان الدولة المملوكية ، ثم تاريخ امامة الشيخ الادفوى للمسجد الذى كان ذكره سابقا . والمسجد العمرى يرجع افتتاحه وتحويله الى مسجد الى اوائل الفتح الاسلامى لمصر ، وهو اكبر المساجد بادفو ، يصعد اليه بدرج ينتسب الى المساجد العمرية نسبة الى الصحابى الجليل . عمرو بن العاص " عبارة من صحن تحيط به اروقة على نمط المساجد الجامعة فى عصر المصطفى صلى الله عليه وسلم ومبنى من الطوب اللبن . هذا المسجد كان معبدا فرعونيا فى العصور القديمة ثم اصبح كنيسة فى العصر الرومانى القبطى ، فصار مسجدا فى العصر الاسلامى ، ويستند الى سبعة اعمدة ما بين الفرعونية والرومانية .

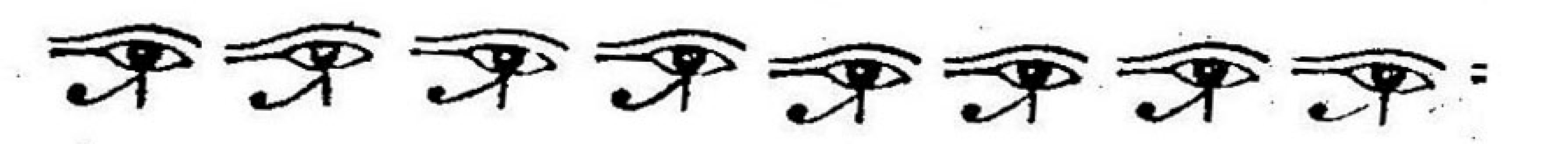




إما ابو القاسم الادفوى فهو " عبد الرحمن بن محمد بن على الادفوى " ينعت بأبو محمد وابو القاسم وهو من رواة الحديث الشريف وسمعه من ابى الطيب احمد بن سليمان الحريرى ومن والده محمد المتولى الادفوى وروى عنه ابوعبد الله محمد بن سلامه بن جعفر القضاعى القاضى .... عن الرسول قائلا : " ان الله تعالى يعطى الدنيا على نية الاخرة ، وابى ان يعطى الاخرة على نية الدنيا "

والجدير بالذكر هنا ان الشيخ يكنى محمد المتولى اى متولى شئون الاقليم وعمدته وايضا ابو الفقيه لكثرة علمه فى اصول الفقه والدين وهى بالفصحى " ابى الفقهاء " .

وبذلك ينتهى نسب عالمنا الجليل الى السيد / ادريس بن عبد الله بن زيد حسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسين السبط بن على بن ابى طالب كما هو واضح من تقسيم النسب الشريف .





شجرة النسب الشريف

" على بن ابى طالب "

الحسن — محمد بن الحنفيه — الامام الحسين

الحسن ← الحسن ← (الحسن — عبد الله)

عبد الله ← ادريس — ابراهيم — محمد النفس الذكية

ادريس ← موسى دولة الادارسة بالمغرب العربى

الامام الحسين ← على زين العابدين ← زيد (قتل) — محمد الباقر

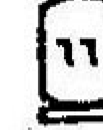
زيد (قتل) ← يحيى (قتل)

محمد الباقر ← جعفر الصادق ← موسى الكاظم — اسماعيل

موسى الكاظم ← " الاثنا عشرية "

اسماعيل ← " الاسماعيليه " ← الدولة الفاطمية بمصر والمغرب

وبذلك ينتهى نسب عالمنا الجليل الى السيد / ادريس بن عبد الله بن زيد حسن المثل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن ابى طالب كما هو واضح من تقسيم النسب الشريف .



منتصر بن الحسن الاذفوى الحربزى

منتصر بن الحسن بن منتصر الشيخ ضياء الدين الكنانى العسقلانى المحتد الادفوى المولد والدار ، خطيب ادفو ، كان من اهل الخير والثقة والعدل والصدق والتحرز والتحرير سمع الحديث من الشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد ابن على بن سرور المقدسى الحنبلى وابى عبدالله بن النعمان وغيرهما ، واشتغل بالفقه ثم ورد الى البلاد فقيرا من السعودية ، فصحبه وتصوف وعمر رباطا بادفو .

كان كثير المكارم ، كبير المروءة والحلم ، يبذل نفسه وماله وجاهه فى حوائج الناس ، مشفقا على اهله واصحابه ، ومعارفه وجيرانه ، يسافر الايام الكثيرة فى مصالحهم ، ودفع الضرر عنهم ، متبعا للسنة ، معظما لاهل العلم وطلبته ، لا يقدم عليهم احدا ، صحيح الاعتقاد ، وكان كل يوم جمعة يصلى الصبح بغلس ويخرج الى المقابر ، يزور ويقرأ ، ويدعو ما لايبخل بذلك ، ولا ينقطع عن صلاة الخمس مع الجماعة الا لضرورة ، وكان يحفظ مسائل الفقة والكلام ، ويحفظ تواريخ ويحفظ اشعارا كثيرة ، وحكايات مفيده عن العلماء والصلحاء وتراجم الناس وانسابهم ، وهو من احسن الناس خطابة ، يشجى سامعه بفصاحة وحسن ايراد وخشوع .



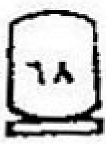
قرأ عليه الشيخ ابو جعفر الادفوى جزءا من كتاب " الشفا" وكان صحيح العقيدة ، سالما من البدع ، وكان حسن الخلق ، يزور المرضى ، ويشيع الجنائز ، ويشهد مقدم الغائب ويودع المسافر، مثابرا على ذلك الى ان كبر وهرم وضعف عن الحركة ، وهو يكلف نفسه ذلك ، ولا يخص الاغنياء والرؤساء بل يعم ، وكان جملة جميلة ، واخبرونى انه مازال يقرأ ويذكر الى ان توفى .

ولد بأدفو عام تسع واربعين وستمائة وتوفى بها يوم الاربعاء ثامن عشر ربيع الاخر سنة اربع وثلاثين وسبعمائة .

عبد القادر بن مهذب الأدفوى

الامام العارف ، كان ذكيا .. جوادا متواضعا رحل الى قوص للاشتغال بالفقه ، فحفظ اكثر " التنبيه " وهو اسماعيلى المذهب مشتغلا بكتاب الدعائم . تصنيف النعمان بن محمد متفقها فيه ، وكان فيلسوفا يقرأ الفلسفة ويحفظ من كتاب " زجر النفوس" وكتاب " ابلوخيا " وكتاب " التفاحة " المنسوب الى ارسطو كثيرا . وذكر بعض الاصحاب انه تعسر عليه قفل باب فذكر اسما وفتحه ، توفى عام ٧٢٦ هـ .







علي بن صالح الأذفوي

هو الشاعر الذي ذكره صاحب كتاب " الارج الشائق " وانشد من شعره يمدح ابن حسان :

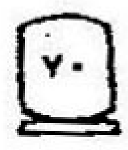
دعاني فداعي الهوى قد دعاني
وكفا الملام ولا تعذلاني
فدمعي يبوح بسري المصون
ووجدي بثوب الضنى قد كساني
ايا قلب قصر عنك الهوى
فقد حل بي منك ما قد كفاني
وخذ في مديح اخي المكرمات
وخدن المعالي ورب المعاني
اليه فاني بقصدي له
امنت الانام وجور الزمان
واصبحت في مدحه في الانا
م قوى الجنان جرئ البيان

علي بن أحمد بن الحسين

المنعوت علاء الدين الاصفوني ، كان من الاذكياء ، الادباء الشعراء خفيف الروح ، حسن الاخلاق ، كريما جوادا ، اشتغل بالفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي ، وتادب على ابن الغضنفر الاصفوني والجلال ابن شواق الاسنائي ، وغيرهما وله يد في الحساب .

ويروى المورخ ابو جعفر الادفوى منه قائلا : " صحبته دهرا طويلا فرأيت منه كرما جزيلا ، وفعلا جميلا ، لطيف حتى كأنه خلق من النسيم ، يهوى الجمال المطلق ، فيأخذ بمجامع قلبه كل وجه وسيم ، لا يرى الا وهو ذو ارتياح ، يميل طربا وسميل ، كما يفعل الغصن الرطيب عند هبوب الرياح وهو فى الاداب فارس ميدانها ، وفى القصائد اخو احسانها ، اقام عندنا فى ادفو سنين كثيرة ، عندما كان والده شاهد ديوانها وكان الاجتماع به يذهب الاتراح ويجلب الافراح ، وكانت فيه فتوة ، ومروءة وانسانية ، والجأته المكارم الى الدخول فى الخدمة السلطانية ، فما غيرته من حاله ، ولا احالته عن جميل خلاله ، ولا انحرفت به الى الحيف ، ولا اطمعته فى مطلوبها ، ولو ان الوقت سيف ، انشدنى من شعره ، وذكر لى نبذا من نثره ، فما انشدنى رحمه الله تعالى لنفسه :

يا هاجرين اما كفى هجران
ذل الهوى فى الحالتين هوان
نمتم قريرين الجفون من الكرى
والطرف ساه بعدكم سهران
ما انعمت نعم عليه بنظرة
يوما ولا رقت له نعمان
بالله يا حادى اذا جئت الحمى
عوس فثم تعوس الاظعان



واستقبل الوادي بكل لطيفة

فعسى تميل لنحوك الغزلان

وقل المتيم جاءكم مستغفرا

ومن الاحبة يعرف الغفران

فاذا تصالحت القلوب على الوفا

فخذ الفؤاد فانه سكران

وعندما بلغه شعر الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي اوله :-

مافي المناهل منهل مستعذب

إلا ولي فيه الالذ الاطيب

انا بلبل الافراح املأ روحها

طربا وفي العلياء باز اشهب

فنظم صاحبنا علاء الدين وانشد فيه لنفسه قوله :-

ما في الموارد مورد يستنكد

إلا ولي فيه الامر الانكد

انا قنبر الاحزان املأ طلحها

حزنا وفي السفلى غراب اسود

وانشدني له صاحبنا بدر الدين محمد بن علي بن عبد الوهاب

الادفوي وكان من خواص اصحابه وجلة احبابه ، مما ذكر انه

انشده له قوله :

دعاها فداعي الهوى قد دعاها :. وكفا الملام ولا تعزلاها

فقد شاقها منزل بالحمى :. وقد ساقها للمغاني هواها

فإن سكرت من خمار الهوى

فزنها فإن نواها هواها

ارحها فسائقها وحدها

ومل باللوى فالمصلى مداها

وما راقها نزهة بالنقا

ولا شاهدت في سواها سواها

تهيم اذا ذكرت طيبة

وتطرب ان فاح منها شذاها

ففي طيبه كل ما تشتهي

من العفو والامن من آل طه

بها احمد المصطفى نازل

فياليت كحل جفوني ثراها

وعندما تولى " المغطى " توص وهو احد الولاة في عام احدى عشرة وسبعمائة ، وكان بصره ضعيفا جدا ، حتى قيل انه لا يبصر به ، وكان فخر الدين محمد ناظر الجيش قد قام في ولايته وجماعته ، فنظم علاء الدين قائلا :

قالوا تولى الصعيد اعمى

فقلت لا بل بألف عين

واشترى له ابوه كساء يتغطى به ، فطلبه منه شخص ، فأعطاه له ، فاشترى له ابوه كساء آخر فأخذه ، فقال ابوه : لا تقل الا اذا جاءتك من تحبها .. كيف تعمل ؟ فقال : اتغطى معها



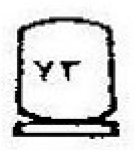


بردائها ، فقال : اذا لم يكن معها رداء ؟ فقال :
اقول لها : روحي الى الصيف .

وعندما طلع داود الذى يدعى انه ابن سليمان ومن نسل العاضد الى الصعيد فى سنة سبع وتسعين وستمائة ، وتحركت الشيعة ، وبلغ علاء الدين انه قال لبعض اهل اصفون انه يتحمل عنه الصلاة ، نظم علاء الدين هذه الابيات وانشدنيها لنفسه :

ارجع ستلقى بعدها اهوالا
لا عشت تبلغ عندنا آمالا
يامن تجمع فيه كل نقيصة
فلاضربن بسيرك الأمثالا
وزعمت انك للتكلف حامل
وكذا الحمار يحمل الاثقالا

جلس شاهدا بالوارقيين بقوص ثم القاهرة ، وكان رحمه الله واسع الصدر ، كثير الاحتمال ، متواضع النفس ، وباشر شاهدا بنقادة وقف خدام الضريح النبوى ، عليه افضل الصلاة والسلام ، الى ان توفى بها فى شهر رمضان عام احدى وثلاثين وسبعمائة .



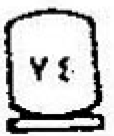




الشاعر بن عبد الوهاب

روى المؤرخ ابو جعفر الادفوى قائلا : ظهر فى ادفـــو عالم نجيب وشاعر ملهم هو محمد بن على بن عبد الوهـــاب بن يوسف بن منجا الادفوى ينعت بدر الدين ، اشتغل بالفقـه على مذهب الامام الشافعى ، وقرأ ارجوزة فى الفرائض ومقدمة فى النحو ، وسمع الحديث بالقاهرة من جماعة ، من جملتهـم ابن قريش . وهو من جملة الاذكياء ، جمع بين كثرة الحفـظ وقوة الفهم ، يحفظ الابيات الكثيرة من سماع ، ويفهم المعنى الذى لا تكاد تستقل به الطباع ، مع كثرة اتضاع ، ولطـف وانطباع ، واغاثة الملهوف ، واسداء جميل واصطناع معـروف وبذل الجهد فى منافع احبابه واقاربه ، وافراغ الجهد فـى حوائج اصحابه ، والقيام بمصالح من يرد عليه ، وايصـال ما تصل قدرته اليه ، واشتغل بالتصوف ، ولبس من اهـل الطريق ، وسلك فيه السلوك الذى به يليق ، وما خرج عـن الطريق الشرعى ، والامر بالمعروف المرعى ، وبنى بادفـو رباطا حسنا ، ووقف عليه وقفا مستحسنا ، وهو رئيس ذلـك البلد ، والذى عليه فيه المعتمد ، بالاضافة الى انه ناظم ناثر ، وله من الادب الحظ الوافر وقد انشد هـذه القصيـدة :





فؤاد لبعد الظاعنين تمزقـــا

وجفن جفـــاه نومه فتارقـــــــا

واني على بعد الديـــار وقربها

لأحفظ للاحباب عهدا وموثقـــــا

الا ليت شعري هل الى الوصل عودة

وهل بعد هذا البعد يوما ملتقــــى

أأحبابنا عهد الوداد مجـــدد

واما سلوى يوم بنتـــم فأخلقـــــا

سلوى محـال عنكم وتصبـــرى

وحبى لكم مازال امرا محققـــــا

يمثلكم بالفكر سرى لناظرى

فأذهـل حتى احسب البين ملتقـــى

وكم بت والعين القريحة فيكم

ابى الدمع منها ان يكون له رقــا

وها مهجتى ذابت وقلبى تقطعت

نياط قواه حسرة وتشوقـــــــا

ايا سائق الاظعان ان جزت بالحمى

فعرج على جيراننا بربـــى النقـــا

وان سألوا عنى فقف متفضـــلا

وقل قد قضى وجدا بكم لكم البقـــا

وانشد لنفسه ، وقد اهدى له شخص بطيخـــة ، فنــــظم

هذيـــن البيتيـــن :



اهدى لنا من تحبه كرمسا
بطيخة جل قدر باريها
كأن من سكر حلاوتها
او عسل او رضاب مهديها

وله قدره على الارتجال ، ورد عليه شخص مغربى ، كنيته ابو العباس وكان لطيفا ظريفا ، حسن الاخلاق وفيه فضيلة ، فحصل له يوما حال فقال :

قد هب من ذاك الحمى نسيمه
فقال بدر الدين : رنحها بوجدها قدومه
فقال ابو العباس : فظلها ترفل فى اذيالها
فقال بدر الدين : لعلها تحظى بما تروقه
فقال ابو العباس : ما قصدها شعب النقا والمنحنى
فقال بدر الدين : ولا صبا نجد ولا شميمه
فقال ابو العباس : الا الذى لاح لها وجوده .
فقال بدر الدين : فاصبحت وقلبها كليمه

لبس بدر الدين خرقة التصوف من الشيخ جلال الدين بن الشيخ علم الدين ابى الظاهر اسماعيل المنفلوطى ، وهو معتمد اهلها واليه منتهى عقدها وحلها ومولده فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة فى شهر المحرم .





زهير بن هو ملمر الادفوى

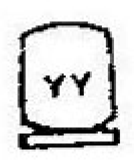
كان ذلك العالم فاضلا ، عارفا بالعلوم القديمة ، حكى عنه بعض الشيوخ انه كان هو واصحابه فى مكان يقابل احدى الجزر فى ادفو ومغنى يغنى فى عرس ، فقال بعض الجماعة : نشتهى لو اطربنا وحضر لدينا من الجزيرة ، فاعتزل عنهم لحظة ، واذا بالمغنى قد حضر عندهم وهم يشاهدونه وبيده المزمار ، وهو يغنى مارا علي البحر !!

وكان ذلك فى المائة السادسة .

الحسن النميري

الحسن بن ابى الحسن الادفوى النميرى الكاتب ، كان يعلم الصبيان الادب والخط ، له مشاركة فى النحو والادب وله نظم وكان الجماعة ينبسطون معه ويقولون " نُمير " هو القط ، وكان علاء الدين الاصفونى قصد الحجاز ، فعمل دقيقا فى شمال أى المخلاه ، فقطعها الفأر ، فكتب الى المكين قصة اولها :

" المملوك الدقيق يقبل الارض بين يدى ملك القطط ، الهر الاوحد والسنور الامجد ، والقط الارشد ، ازال الله عنه الضير وجمع له كل خير ، واحيا به قبيلة نمير ، وينهى من شرح حالى ، انى لما جردت من تحالى ، وحزمت فى شملتين ، وحفظت فى العين ، اجتمع على الفيران ، واطلقوا فى النيران ، وحشدوا من





كل مكان ، وتسلقوا من سائر الحيطان ، واكلوني من بعيني وشمالي ، وقطعوا خيشي وشمالي ، واني لرجل موجود العدم ، معدوم الغني ، لا يملك الا انسا وسوءاله تجريدة سرية من القطط الشجعان ، التي مشايخ الفيران ، والله تعالى يجمع لملك القطط ما يتغالى ، ويسعده ما هطل نو ، وصال قط بنسو "

توفي بادفسو في حدود عشرة وسبعمائة .

عبد الحق بن الحسن

هو الامام عبد الحق بن الحسن بن محمد بن علي بن مظهر بن نوفل الثعلبي الادفوي من اقرباء المؤرخ ابي جعفر الادفوي وابن عمه ، حفظ كتاب الله العظيم ، واشتغل بالفقه على مذهب الشافعي ، واقام بقوص بالمدرسة ، ثم استوطن اسوان ، وتولى امانة الحكم بها ، والاوقاف والامامة بالمدرسة النجمية ، وكان كريما مع فاقة جوادا ، كثير التعبد متدينا ، حفوظا ودا أصحابه ، مساعدا بما تصل اليه قدرته ، معانقا للفقر ، صابرا راضيا توفي بأسوان قال الادفوي يرثيه :

ابكي عليه وما انفك ذا الم
مدى الزمان وما انفك ذا شجن
وما تذكرته الا اهاج لي التذكار
نار الاسى والهم والحزن



الموسيقار ابراهيم قطب الدين

الموسيقار الشاعر الصوفى ابراهيم بن محمد بن علـــى بن مطهر بن نوفل الثعلبى الادفوى ، ينعت بقطب الدين ، كــان رحمه الله لطيف الذات حسن الصفات ، شاعرا ناثرا ، وكــان فى عنفوان شبابه يضرب بالوتر ويغنى بين اصحابه غنـــاء يشجى السامع ، ويطرب المسامع ، ثم عكف على حفظ كتاب الله العزيز ، فاستحق به التميز ، واستمر الى آخر عمره علـــى اقراء القرآن ، والانقطاع عن تلك الاقران ، ملازما للصـــلاة والتلاوة والعبادة ، وسلوك الطريق الشاهدة لسالكهـــا بالسعادة وهو كل يوم من الخير فى زيادة ، مع صدق لهجـــة وصيانـة ، وامانة وديانة ، الا انه كان من اتباع الشيعة .

قال المؤرخ الادفوى : شاهدته عندما حضر داود الـــذى يدعى انه ابن سليمان بن العاضد - الخليفة - الى الصـــو فى سنة سبع وتسعين وستمائة ، وهو بين يديه ، وقد اخـــذا العهد عليه ، وهو ينشده قصيدة نظمها اولها :

ظهر النور عند رفع الحجاب

فاستنار الوجود من كل بـــاب

واتانا البشير يخبر عنهـم

ناطقا عنهم بفصل الخطـــاب



وقال فيه الادفوى :

وانى لارجو ان تكون وفاتـه
على حب ازواج النبى وصحبـه
لتنفعه تلك القراءة فى الدجى
وتغشاه يوم الحشر رحمة ربـه

توفى ببلده فى عام سبع وثلاثين وسبعمائة بعد ان كـف بصره من سنين كثيرة ، وهو صابر ، شاكر على طريقة حسنـة وكانت وفاته فى يوم عرفـه .

الفيلسوف المؤتمن الأدفوي

هو مفضل بن نوفل بن جعفر بن يونس ، ينعت بالمؤتمن الادفوى كان فاضلا ، عالما بعلوم القدماء ، من فلسفة وغيرها وله ادب ونظم فمن مشهور قصائده التى اولها :

لطائفنا فى عالم القدس تسنـح
وانفسنا فى عالم الانس تسبـح

وقصيدته التى اولها :-

هل النفس الا نطفة من مشيمـة
نمت بدم الاحشاء ثر نمـاء
وهل هو الا ظرف بول وغائـط
ولو انه يطلى بكل طـلاء



